ⓒ يوسف بن عثمان الحزيم، ١٤٤٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحزيم، يوسف بن عثمان

قوة الإلهام./ يوسف بن عثمان الحزيم. - الرياض، ١٤٤٠هـ

١٤٨ص؛ ١٤,٥□٢١سم

ردمك: ٩-٩٩٧-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١-الإلهام - أ. العنوان

ديوي ١٥٣,٣٥ ١٤٤٠/٩٨٢٧

رقم الإيداع: ١٤٤٠/٩٨٢٧

ردمك: ٩-٩٩٧-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

أولاً: الطريق الرابعة..

إذا حددنا الطريق سَهُل الوصول والعودة والتكرار .. وإذا كررنا الذهاب والعودة من الطريق نفسه؛ قضينا على الإبداع..

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي القوي الأمين، أما بعد:

كنت أظن أن التنمية المستدامة وعلى رأسها التنمية البشرية؛ هي المخرج لأغلب مشكلاتنا المعاصرة؛ لأننا ننتقل من عقلية الغنيمة «الرعوية» إلى عقلية الإنتاج «التمكين».

حيث تساهم القطاعات الثلاثة: الحكومي، الخاص، ومؤسسات المجتمع المدني الخيرية التطوعية، في التخطيط والتنظيم والتنفيذ والتوجيه والرقابة لخطة كبرى تراعي الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، وكل هذا لن ينجح إلا بحكم صالح ناضج للحوكمة «Good Government».

ومع أن كل ما ذكر أعلاه صحيح، لكن هناك قوارب نجاة ليس بالضرورة أن تخضع لقوانين الإنتاج التنموي الكمي والنوعي، مثل: الموهبة، والابتكار، والإبداع، والريادة، والإلهام، فمن خلال هذه القوى غير المنظورة نستطيع أن نقفز قفزاً عبر تفجير الطاقات الكامنة في البشر، ليس للتعبير عن نفسها فحسب بل على نحو قد يفوق توقعاتنا المعتادة ليصنع المستحيل ويحقق المعجزات.

لقد مارسنا «الإلهام» في العنود الخيرية، لكن دون وعي مقصود ومباشر للمفهوم؛ إنما إيماناً منّا بالطاقات الواعدة للشباب السعودي بإشعال فتيل تلك الطاقات من خلال الإسقاط على قصص الناجحين من أمثالهم؛ الذين يتشابهون وإياهم في ذات الظروف الاجتماعية والاقتصادية.

إن برنامج التمكين الذي نبثه من خلال ترددات إذاعة UFM الساعة الواحدة ظهراً يومياً من العاصمة الرياض، جعلنا نبحث عن قصص ملهمة تحتاج أذناً واعية، وروحاً متوثبة مستعدة وجاهزة لتنمية ذاتها، عبر بحثها عن أجوبة لأسئلة حياتها وتطوير قدراتها؛ بشرط أن يكون جواباً ملهماً وهو ذاك الإلهام الذي يعبّر عن الحاجة ويُعرض في سياق بسيط غير معقد.

نعم.. بدأت أدرك أن هناك طريقاً رابعة للارتقاء بالإنسان، بعد الرعاية والتمكين والتنمية، ألا وهو: الإلهام الناشئ من الألم غالباً، أو من التدفق الإنساني الفطري نادراً.

ما الإلهام؟ وما أهميته؟ وما هي مصادره وأنواعه؟ وكيف يتم في الممارسة التطبيقية؟ وما الذي يلهم السعوديين تحديداً؟

كل هذا وغيره سوف تجد إجاباته في هذا الكتيب الذي سيحوّل إلى حقيبة تدريبية، وسوف نعلّم بإذن الله شباباً كثراً، ونعزز حضورنا الإلهامي عبر الإذاعة، ونجمع كذلك أنشطتنا ذات العلاقة في مركز موحّد اسمه: قوة الإلهام، وفق مشاريعه ومنها: منصة (أكثر من نفط) الذي سيسعى لإلهام السعوديين عبر الاحتفاء بإنجازاتهم مع التركيز على جانب الإبداع والإلهام لفرض التأثير وتعميم شعلة الهبة الربانية التي اسمها الإنسان؛ الإنسان ذاك المخلوق الذي لا يسعى فقط لحل مشكلاته الذاتية والفردية، بل يمتد لحل مشكلات البشرية؛ هذا الإنسان قد يكون هو أنت، نعم أنت عزيزي القارئ.

الشكر كل الشكر للأستاذ الدكتور محمد بو حجي الذي حضرت لـه مؤتمـراً للإلهام عبر مركـزه الـدولي الأول والمتخصص، وله كتاب: البحث عـن الملهمين، وكذلك: الدليل للإلهام الاقتصادي Hand book Inspirited Economy، ومـا شـدني في الدكتـور بـو حجي أنـه متخصص في الإلهام المؤسسـي، وهـو خبير عتيق في التنميـة، طـوّر عـدة دراسـات في التفكير ومعجـب بالتجربـة الشـرقية في الإصـلاح الإداري وتحقيـق التنافسـية؛ حتـى بـات يطلق على نفسه، مجازاً «هندي الخليج العربي» !!

بتاريـخ ٢٠١٦/٠٢/٠٢م قَدّمـتُ ورقـة عمـل في مؤتمـر الإلهـام بالبحرين واكتشـفت لاحقاً أنها تصلح كتاباً للنشر، مما حفزني لاسـتعادة تطبيق تجربتي السـابقة حينما كتبت: (قوة التطوع)، الـذي أصبـح برنامجاً معتمداً في التدريب علـى التطوع في مركز الأميرة العنود لتنمية الشباب «وارف».

إنْ تمَكَّـن هـذا الكتاب من نشـر الوعي بمصطلـح الإلهام، وجعل بعض الشـباب يتأمل هذه الطريقة الرابعة فيلهم نفسه، ثم يلهم غيره؛ لهي محاولة تستحق المبادرة.

إن الله جـلّ وعـلا قـد حبانـا في هـذا الوطـن الأمن والاسـتقرار والتنميـة، ووالله إننـا ظلمنا أنفسـنا طويلاً حينمـا اعتمدنا على التلقين ونقل المعارف البليدة التي لا تعطي حلاً لمشكلاتنا الذاتية أو الوطنية، ولا تأخذنا للمستقبل الحضاري التنافسي.

إن الإلهام سيعبّر عن طاقاتنا الأصيلة النابعة من جوهرنا؛ إنها أحلامنا المشروعة القابلة للتطبيق، والمتجاوزة لقوانين القداسة العلمية أسيرة المدرسة الغربية في التعلّم والتعليم.

إن الإلهام لذواتنا له نكهة ورائحة هويتنا، التي تلون مشاعرنا بأفراحها وأحزانها، وحين ننجح في تحقيق بصماتنا الخاصة بالإلهام عبر منتجاتنا الخلاّقة؛ ستصبح التنمية السعودية تعبيراً عن ذواتنا، فتكون هي انعكاساً لنا ونحن انعكاساً له في الوقت نفسه.

ثانياً: ما الإلهام؟

يقظة نفرح بها كالأطفال وتقفز بنا كوثبة الأبطال..

بدايةً.. يمكن لكل قارئ أن يعرّف مصطلح الإلهام كما يحلو له، ولاسيما إذا اطلّع على مفردات عديدة ترد تعبيراً عنه، أو مكملةً لمعناه، أو متقاطعة معه مثل: الاكتشاف، الشعور بالزهو، والتفوق على الذات، التنبؤ غير المسبوق، الابتكار والتجديد، الصحة النفسية، الرضا المفاجئ والأمل، تعديل سلوك أو اكتساب قيم وعادات جديدة، الرسالة ذات المعنى «الجوهر»، العاطفة الخلاّقة، رؤية المستقبل «الحلم»، مشكلة عويصة وحلها بسيط، حدث غير منتظر «مفاجئ» وعفوي، المشاعر والجسد والإيمان حينما استيقظوا على الحاضر، إزالة الحجب بالتنوير والإبصار والتبصير.

٢/١ الإلهام لغة:

إلهام: مصدر من الفعل ألهم، وجاءه الإلهام في عزلته: ما يلُقى به الله من أمر في نفوس عباده الأصفياء لهدايتهم واطمئنان قلوبهم.

الإلهام: (علو النفس) إيقاع شيء في القلب يطمئن له الصدر، يخص به بعض الأصفياء.

إلهام الشاعر: ما يلقى في نفسه من صور وأفكار ومعانٍ، من أين يأتي هذا الشاعر بإلهامه.

الإلهام الشعري: سمو بالذهن والروح يسبق التأليف الخلاق، يحس الشاعر أثناءه أنه يتلقى عوناً من مصدراً علوي[1].

الإلهام مشتق من مادة: «لَهَم» و(اللَهَم): الابتلاع. وقد لَهِمهُ بالكسر، إذا ابتلعه، واللُهامُ: الجيش الكثير كأنه يلتهم كل شيء، وألهمه الله خيراً: لقنه إياه. واستلهمه إياه: سأله أن يلهمه إياه[2].

(١) معجم اللغة العربية المعاصر. مادة (لهم).

(٢) لسان العرب، لابن منظور، مادة: لهم.

٢/٢ الإلهام اصطلاحاً:

إن تعريف الإلهام اصطلاحاً لم يذهب بعيداً عن تعريف الإلهام لغة.

يعرف الإلهام بأنه: إيقاع شيء في القلب يطمئن له الصدر.

وأيضاً: حالة لسمو الذهن والروح يسبق الإبداع الخلاق.

وأيضاً الإلهام: إلقاء معنى في الروح بطريقة الفيض أو بلا واسطة، فقدرة الإنسان على إلقاء شيء ما في روح شخص آخر يعني أنه استطاع أن يلهمه.

يعرف قاموس أكسفورد الإلهام بأنه: «الفعل الذي يحقق التجرد من خلال استنشاق هواء جديد متمثلاً بفكرة جديدة أو تحقيق الاستكشاف لهدف فيصنع إحساساً آخر ينبض بالحياة».

ويعرف أيضاً: «روح وعادة وممارسة يعتاد فعلها الفرد مراراً وتكراراً بروح ملؤها الإصرار والعزيمة».

وتذكرت حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَقَدْ كَانَ فيمن قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمم نَاسٌ محدَّثونَ، فَإِنْ يَكُ في أُمَّتي أَحَدٌ، فإنَّهُ عُمَرُ».[٣]

قال الطحاوي: معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم «محدثون» أي ملهمون وكذلك يحدَّثون: أي يلهمون.[٤]

(٣) رواه البخاري برقم (٣٢٨٢).
(٤) شرح مشكل الآثار (٣٣٩/٤).

ترد في ذهني أربعة تعريفات للإلهام:

أ. الإلهام: حالة شعورية «نفسية» تتملك الإنسان، بعد تلقيه صدمة إيجابية معبّرة وصادقة، يفرح الملهم من خلالها بإعادة اكتشاف نفسه فتخلق الأمل والحلم والخيال مولدةً عزيمةً دافعة للأمام.

ب. الإلهام: فيض أو وميض أو إشراق ينتاب الإنسان شعوراً بالثقة في فكرة ما، تشكل مخرجاً، أو فرجاً، أو حلاً لمشكلة بصورة تفوق توقعات المُلهَمَ.

ج. الإلهام: صورة المعنى أو الجوهر في المستقبل.

د. الإلهام: تحرير الذات من قيود العادات والخبرات والتجارب، وتحرير العقل من القيود والأفكار الخاصة والمسبقة واحتمالية عدم القدرة على تجلية وإظهار رغباتك وطاقاتك الكامنة.

ومن سمات الإلهام ما يلي:

- محله النفس.
- فكرة، أو حدث، أو قول، أو فعل صادق ومعبّر ومفاجئ؛ يخلق هالة من القدرة.
- يشعل الفتيل في فرد أو مجتمع باحث عن إجابة «قلق».
- أثره الاستيقاظ والوعي الإيجابي بأمر ما: اكتشاف الحل.. «الطاقة».
- يصنع حلماً وأملاً؛ يطمئن ويفرح به كأنما قد وقع.

ثالثاً: لماذا الإلهام؟

إنه جنتنا على الأرض حينما نتسامى ونقترب من بركات السماء..

-١-

تعكف خطط التنمية في الخليج العربي على تهيئة البنية التحتية الصحية والتعليمية وغيرها من أجل خير المواطن العام كفرد في المجتمع، إلا أن المناهج التنموية ظلت باستمرار قاصرة عن استنهاض وإيقاظ همم المواطنين، ولاسيما الشباب الخليجي الذين تبلغ نسبتهم ٧٠٪ من المواطنين وتصل ذروة تطلعهم للقدوة والإلهام في سن المراهقة بين السادسة عشر والثالثة والعشرين، ولقد استغل المتطرفون بأطيافهم كافة هذه الفئة العمرية؛ لمعرفتهم بالهشاشة النفسية لهذه الفئة في ظل تطلعهم الدائم للعب دور البطولة.

نعم لقد نجحت برامج إدارة الذات والصحة النفسية جزئياً، وذلك من خلال الكتب والدورات التدريبية، وعبر وسائل الإعلام، من إعلاء تجارب الناجحين وطنياً، وساهمت في إيقاظ همم الشباب؛ فشقوا طريقهم نحو التفوق والتميز، في حين أن القطاع العريض من الشباب لم يتعرض لتجارب برامج الإلهام تلك أو غيرها، التي تشغّل وتُشعِل فتيل الطاقة الكامنة والفائضة فيهم.

يقول د. محمد بو حجي[1]: «كل ما يؤدي إلى استكشاف قدرات المجتمع، أو المؤسسات، أو الإنسان، من خلال رفع مكامن الوعي والإدراك التي تحقق قدرات عالية على إدارة المعرفة والتعلم والإبداع، وبالتالي التجدد وصناعة القيمة المضافة لمعاني جودة

(١) بوحجي، د. محمد جاسم، البحث عن الملهمين، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م، ص١٩.

الحيـاة والتعلم مدى الحياة، والتعايش المجتمعـي، وهو الاقتصاد القائـم علـى روح الريادة والإبـداع،... إن الإلهام يحيـي لدينا كل الفرص والاحتمـالات الموجـودة حولنـا، من قريـب أو بعيـد والتي تجعلنا نسـمو ونتجـاوز محدودية خبراتنا وقدراتنـا الحالية، فمن خلال الإلهام تتحرك لدينا الدوافع من اللامبالاة إلى الاكتشاف».

- ٢ -

إن الإلهـام غـير مكلـف ماديـاً، وأدواتـه بسـيطة، لكنهـا عميقـة وغزيرة المعنى؛ لذا علينا أن نبحث عن أصحاب الجوهر والمعنى المؤثرين في كل من يحتاج إلى الإلهام، أو يعيش بلا معنى سـيما شبابنا فهو يختصر لهم الطريق قفزاً وفق نظرية ٢٠/٨٠ فقليل من الإلهام بالجهد الذكي (٢٠٪) يعطيك (٨٠٪) من النتائج في حين أن (٨٠٪) من الجهد غير الإبداعي والملهم يعطيك للأسف (٢٠٪) من النتائج.

إن الإلهام يشـعرك بالفخر ويُحَسِّـن الصحة النفسـية، ويقي من الأمراض، ويطـور أسـاليب مدافعـة الجسـد عـن نفسـه، ويكون الإلهـام مؤثـراً أكثر من القريبين أسـرياً لك سـيما أولئك الذين يتمتعـون بسـحر الشـخصية والتأثير الإيجابي؛ السـاعين لترقية الإحسان بالتلاحم والالتفاف الأسري والوطني.

إن الملهـم يخفض تكلفـة الاسـتثمار في البنيـة التحتيـة والماديـة لصالح الاسـتثمار في رأس المال البشري الذي هو قاطرة تحقيق التغيير والتطوير والتنمية المستدامة.

إن الإلهام يشجع على الإبداع والابتكار والتفوق على الذات على نحو يجعل الذات تفجر طاقاتها بحرية، محولاً نسق تفكير الإنسان من المحدودية والمشروطية المحلية، إلى فرد عابر لحدود ذاته موظفاً طاقته الداخلية الكامنة أفضل توظيف لا يعرف الحدود أو ما يسمى بالتنمية البشرية الذاتية.

-٣-

أما على صعيد المؤسسات فقد أثبتت الدراسات، ومنها دراسة شركة باين وشركاءه التي استطلعت آراء ما يزيد على ثلاثمائة من كبار المديرين التنفيذيين ودراسة وبحث عينة واسعة من الموظفين: «أن الإلهام في المؤسسات الاقتصادية تحقق قفزة كبيرة ونوعية في أداء العاملين، حينما تقوم القيادة الإدارية بإلهام فريق العمل فتزيد فاعليتهم حتى تبلغ النتائج ٢٢٥٪

تقسم الدراسة العاملين في الهرم إلى:
راضون - مشاركون - ملهمون

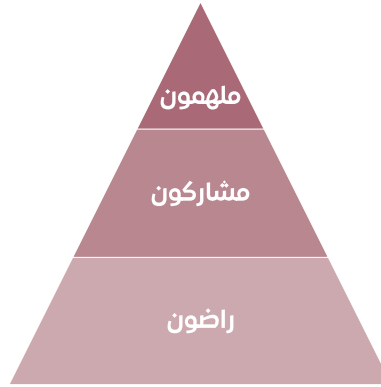

أظهرت الدراسة تصنيف الموظفين الراضين بأنهم: الذين يتم تقييمهم ومكافأتهم بشكل عادل ويقومون بوظائفهم بكفاءة وفاعلية دون بيروقراطية في حين بيئتهم آمنة ولديهم الأدوات والتدريب والموارد الكامنة لأداء مهامهم.

وبأن الموظفين المشاركين: الذين تتضاعف رغبتهم كل يوم في التعلم والنمو والاستقلالية في أداء الأعمال ضمن فريق عمل استثنائي ولذلك يصنعون ويضعون بصمتهم في العمل.

وأنه باحتساب أن الموظفين الراضين تبلغ إنتاجيتهم ١٠٠٪ على المقياس؛ فقد بلغت إنتاجية الموظفين المشاركين ١٤٤٪ على المقياس، في حين كانت القفزة المفاجئة في إنتاجية الموظفين الملهمين حيث بلغت ٢٢٥٪ على المقياس.

لقد لعب القادة دوراً كبيراً في تحقيق تلك النتائج؛ بسبب ما يتمتعون به من صفات: أنهم رعاة للتغيير عبر خلق رؤية مستقبلية واضحة للمنظمة، ويدعمون الإنتاج وفق معايير ذات أداء عالٍ، ويتصرفون بطرق تجعل الآخرين يثقون بهم، كما يعطون معنى للحياة التنظيمية.

* * *

رابعاً: أنماط الإلهام..

أنواع من الطيور سوف تهاجر بنا مع الريح حيث أقدارنا تنتظرنا هناك..

قد نخطط بوعي بحثاً عن الإلهام عبر الملاحظة الدقيقة والاستقراء لقدوتنا في الحياة، كما قد يلهمنا آخر دون قصد وترتيب منظم منا، كما لو راقبت عاملاً أو فلاحاً بسيطاً قابلته بمحض الصدفة فلفت نظرك: مثابرته والتزامه والرضى والقناعة والابتسامة والفرح الذي يتمتع به فأيقظ فيك الإلهام.

يقول د. يوسف ميخائيل عن الإلهام[1]: «إن المعنى الغيبي للإلهام يركز على فاعلية الكائنات الروحية وتأثيرها على عقل المرء ووجدانه وتصرفاته، في حين أن المدرسة السيكولوجية تركز على فاعلية الإنسان نفسه معتمداً على عقله ووجدانه وتصرفاته الإرادية فيما المعنى الواقعي للإلهام كطريق ثالثة: يركز على دخيلة المرء، وما عقل ووجدان وتصرفات الإنسان إلا مصنع لهذه الدخيلة وعليه وعلينا أن نركز الذهن على هذه الدخيلة... نحن نعتقد أن الإلهام بمثابة شطحة أو خروج عن النمطية الفكرية أو الوجدانية أو النزوعية، فهو يتسم بالجدة وشق خط جديد لم يسبق للمرء أن شقه، فإذا كنت تذهب لعملك كل يوم بعد أن استيقظت في الصباح إثر فكرة جعلتك تنهض بهمة فهذه لا تعد إلهاماً إنما هي عادة.

إن الإلهام فكرة جديدة تماماً لم يسبق أن فكرت فيها كأن تنشئ مزرعة للدواجن على قطعة أرض تشتريها من مالك الذي ادخرته وبدأت في تنفيذها بعد أن توسع نطاق العمل وكثرت

(١) ميخائيل أسعد، يوسف، سيكلوجية الإلهام، مكتبة غريب، القاهرة، ص١١-١٩.

مسؤولياتك فإننا نعتبر تلك الفكرة فكرة إلهامية.

نحن نزعم أن الأفكار والعواطف والإرادات بمثابة كائنات حية تعيش بداخلنا فلا تموت ولا تذبل بل تتزاوج وتنجب أجيالاً جديدة، وقد ترد على ذهن المرء إلهامات لكنها لا تكون بالقوة والإلحاح الذي يسمحان لها بالطفو على سطح السلوك والبدء في حياة المرء وهناك مجموعة من الشروط التي تسمح بالتقاط تلك الإلهامات وطفوها وهي ما يلي:

١) قوة الإلهام: هناك معركة طاحنة تدور بين الإلهامات ولا تستطيع الثبات في معركة البقاء إلا بعض الإلهامات التي قد تجد مناصرة من إلهامات أخرى في حين تموت أغلبها.

٢) تسلح المرء بالإمكانيات التي تساعده على رعاية الإلهامات التي ترد إليه: على الرغم من توافر الإلهام عند بعضهم إلا أن عجزه عن التعبير عما يدور في خلده بأسلوب فني مقبول سيقتل إلهامه القصصي.

٣) تآزر الفكر والوجدان والإرادة: إن العقل وحدة لا يستطيع أن يعمل دون الوجدان الذي يقوم الوقود أو الطاقة للفكرة الإلهامية في حين الإرادة تحيلها إلى عمل وسلوك.

٤) تجنب التعب والإنهاك: بعض الإلهامات تحتاج إلى مدة طويلة للتعبير عنها ولإخراجها من حيز الفكر إلى حيز الواقع، فإذا ما واصل المرء العمل بعد أن يوفر لنفسه قراراً مناسباً من الراحة والاسترخاء فقد ينهار قبل أن يتسنى له

ترجمة الإلهام وإحالته إلى كيان مفعم بالحياة.

ويقسم الأستاذ محمد باحارث الإلهام إلى أنماط ثلاثة[٢]:

١. إلهام اجتهادي: وهو ثمرة من ثمرات الاجتهاد في طلب الحق أو الخير، فيُلهم معرفة الصواب، ثم قد تعجبه التجربة أو الواقع، ويشترك في هذا النمط من الإلهام البرُّ والفاجر.

٢. إلهام إيماني: وهو ثمرة للعلم النافع المصحوب بالتقوى وثمرة من ثمار التقرب إلى الله، ويكون في هذه الفئة أشمل وأكثر وأنقى.

٣. إلهام فطري: وهو ما يُفطَر عليه كل مخلوق، وهو سلوك فطري لا يُعلَّم.

سواء كان الإلهام من داخلك أو من الخارج وسواء كان اجتهادياً أو إيمانياً أو فطرياً فقد قسّمت الإلهام إلى نمطين كبيرين هما: إلهام الاختيار «التدفق»، وإلهام الاضطرار «الألم».

(٢) باحارث، محمد، مقالة بعنوان (إرسال مصحف إلى القمر) http:// mohammadbahareth.com.

٤/١ إلهام الاختيار «التدفق»:

إن إلهام الاختيار يأتي من مصدرين رئيسين، الأول: يولد مع بعض الناس بسبب توفيق رباني ومنحة إلهية، والثاني: يأتي بسبب ما يتمتعون به من إيمان وثيق بالله.

أ/ إلهام الإيمان:

يعرف شيخ الإسلام ابن تيمية الإلهام بأنه: «إشراق المعرفة وانبثاقها دفعة واحدة بدون مقدمات معينة أو تذكر لمحفوظ أو خبرة واضحة وهو بهذا المعنى طريق من طرق المعرفة»[٣].

ويقول أيضاً: «وأما طريقة الإلهام، فالإلهام عند أهله علم ضروري لا يمكنهم دفعه عن أنفسهم، وهو ممتد إلى أدلة خفية لا تقبل النقض، فلا يمكن أن يكون باطلاً»[٤].

عن وابصة بن معبد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ»[٥] رواه الإمام أحمد.

وفي البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن

---

(٣) تقي الدين أبو العباس الدمشقي، درء تعارض العقل والنقل (٨ / ٥١٨)، الطبعة الثانية عام ١٩٩١م.

(٤) تقي الدين أبو العباس الدمشقي، درء تعارض العقل والنقل (٤ / ١٢١)، بتحقيق محمد رشاد سالم.

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٧٥٤٥)، وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب (١٧٣٤).

رب العزة، سبحانه، أنه قال:«مَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا»(٦).

وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ويكتب بذلك إلى عمّاله: «احفظوا عن المطيعين لله ما يقولون فإنه يتجلى لهم أمور صادقة».

يقول ابن تيمية- رحمه الله- «فكلما استعمل العبد عقله، وعمل بعلمه، وأخلص في عمله، وصفا ضميره، وجال بفهمه في بصيرة العقل، وذكاء النفس، وفطنة الروح، وذهن القلب، وقوّى يقينه، ونفى شكه وضبط حواسه بالآداب النبوية، وقام على خواطره بالمراقبة، وتحرّى ترك الكذب في الأقوال والأفعال، وصار الصدق وطنه، وذهب عنه الرياء والعجب، وأظهر الفقر والفاقة إلى معبوده، وتبرأ من حوله وقوته، ولزم الخدمة، وقام بحُرمة الأدب وحفظ الحدود والاتباع، وهرب من الابتداع؛ زِيد في معرفته وقويت بصيرته، وكُوشف بما غاب عن الأعيان، وصار من أهل الزيادة بحقيقة الشكر الموجبة للمزيد»(٧).

(٦) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٥٠٢).
(٧) تقي الدين أبو العباس الدمشقي، درء تعارض العقل والنقل (٨ / ٥١٨)، الطبعة الثانية عام ١٩٩١م.

ب/ إلهام السلام النفسي:

يتمتع بعض البشر بالسلام النفسي التلقائي، وآخرون يسعون للوصول إليه بالتهذيب والتدريب، وإذا ما طلبت مني تعريفاً للسلام النفسي؛ فسأقول لك: تعرّف على سمات من يتمتع به، فيدلك على صاحبه.

إن من يملكون السلام النفسي يتمتعون بالبساطة والهدوء والسكينة في الجوارح وداخل النفس، ويتميزون بأنهم أكثر من يسعدون بالنمو ويأسرهم الجمال والطهارة والنقاء، متناغمين بذلك مع أنفسهم وأجسادهم وعقولهم، وكذلك مع الناس من حولهم، والطبيعة الكبرى التي تحيط بهم، لأنهم يفيضون بشعور الرضا النفسي على كل من يحيط بهم، وهم بذلك الفيض يعبّرون عن القناعة التي ترى بها عيونهم فرصاً واسعةً في الحياة، ومبذولة للجميع، لهذا تراهم محترمين وودودين.

إنهم بذلك الشعور الغامر دائماً، يتدفقون في الحياة، مطمئنون لها بإحساسهم المرهف، فلا يفصل بينهم وبين طاقة إشعاع الحياة ومصدر البركة حاجب.

إن تدفق الطمأنينة قاد هؤلاء الملهمين إلى البصيرة؛ لأن البصيرة هي الوجه الآخر للإلهام، لذا فإن حالة السكون والراحة التي تحفهم، تجعلهم يرون مالا نرى، وفيما نحن نُعقّد الأمور ونتعقّد معها، حين نعظّم من شأنها، نراهم بإيمانهم وتسامحهم يبسّطون الأشياء.

إن الملهمين تمثيل لقدر الخالق في قانون الإبداع، ببساطتهم النابعة من عقول وأرواح متصلة بقوته جل وعلا، وبفيض نوره، فتلهم نفسها وتلهم الآخرين.

نستطيع إذاً أن نختصر سمات الملهمين بالتدفق في الخصال التالية:

١. البساطة: افهم الحياة وفق قوانينها الفطرية الأولى (المعرفة البسيطة).

٢. الهدوء: عِشْ في مكان ليس فيه ضوضاء وصخب، بل اسمع نسيم الصباح يدغدغ عقلك.

٣. السكينة: الطمأنينة بالقلب، ويصحبها إيمان روحي بما تفعل.

٤. النمو: تحرك نحو الأمام دون عجلة، وكن واثقاً من أنك ذاهب إلى قدرك وحظك، إنها استراتيجية «التوكل».

٥. الجمال: حيث تقع عينك على جمال شكلك في صور الحياة الأخرى.

٦. التناغم: إنك جزء من الكون: السماء والأرض والجماد والنبات كأنما تعزفون نوتة واحدة.

٧. النية: استحضار الخير والإيثار والنفع العام في قلبك قبل عملك.

٨. الطهارة: وتشمل الطهارة البدنية بالاغتسال بالماء البارد والتطيّب، والطهارة المعنوية بغسل أدران النفس من الحسد والغيبة والنميمة.

لما عفوتُ ولم أحقد على أحد أرحتُ نفسي من همِّ العداوات

٩. الوفـرة: يقصـد بها عـدم خوف الفقر والإيمـان بأن خيرات الأرض ورحمة السماء كثيرة.

١٠. الاحـترام: النـاس خلقـوا سواسـية مـن أب وأم واحـدة؛ لذا يستحقون العدل والمساواة في الأخذ والعطاء مع التقدير.

١١. الخلو: أنت على الدوام جاهز للتلقي والاستماع للآخر فليس لدينا معرفة وحقيقة مطلقة سوى التوحيد، كما أننا لا نملك أحكاماً مسبقة عن أنفسنا، أو عن الآخرين.

١٢. الـوداد: العاطفـة القلبيـة التـي تعمـل بالانتمـاء فتركـز لهـا حواسك الخمس.

٥/٢ إلهام الاضطرار «الألم»:

الملهمون نماذج من البشر يعكسون الطاقة الإيجابية في علاقاتهم مع الناس؛ فهم أشبه بالمعادن النفيسة ينطبق عليهم قول النبي صلى الله عليه وسلم: «تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ...»[٨]، ومن أنفس المعادن التي تعكس طبيعة وذوات الملهمين؛ معدن الذهب الذي يحتاج إلى تنقيب (بحث مخطط ودقيق وعميق) ثم يُعرّض لدرجة حرارة عالية لفصله عن بقية المعادن الرديئة المختلطة به، والإلهام حاله حال الذهب، يُبحث عنه؛ والألم والأزمات المصاحبة له هي من الشروط الضرورية لتصفيته وصقله.

قال الشاعر أبو القاسم الشابي:

ومن يتهيب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر

إنني أكاد أجزم أن غالب الملهمين جاءوا من رحم المعاناة؛ ففي المعاناة يكون: التهديد، العجز، القلق، فتتشكل حالة إنسانية يبحث فيها الإنسان عن الفرج، أي: الحل، وتقدير الله يقتضي أن شدة الألم يصاحبها وتكون معها رفعة الشأن بالإلهام، عندما يكون الحل قد فاق توقعاتك بمراحل، بحيث إنك إذا تذكرت ذلك، بعد حين، تتأمل قائلاً: من أين لي هذا؟

يمكننا أن نلخص إلهام الألم «الاضطرار» في حدوثه وتطوره في سبع مراحل كما يلي:

---

(٨) رواه البخاري برقم (٣٣٨٣).

١) الألم:

إن الألم شعور إنساني يمثل تهديداً وقلقاً للفرد، ويسبب له معاناةً وشكاً وحيرة، تدفعه للتساؤل العميق، والبحث الجاد عن أسباب وسبل الحل؛ فيكون الفرد في تلك الحالة مستعداً لتلقي الإلهام.

ولكن ليس بالضرورة لكل من يُلهَم أن يكون متألماً، ففي أحيان نادرة، يؤدي الإيمان الصادق العميق إلى حالة تماهي الإنسان مع قدره المكتوب، فحيث يرعاه الله ويكلؤه بالتوفيق بما يجعله مستعداً للإلهام بصورة دائمة وهذا ما سميته سابقاً بإلهام الإيمان.

٢) الإلهام:

إن الإلهام هو فيض روحي، وبصيرة تفتح للفرد سبلاً لحل المشكلات بأسلوب خلاّق وغير مسبوق، أي أنه مفاجئ أو صادم - صدمة إيجابية - تكون كافية لإشعال الطاقة الكامنة في ذاته.

٣) العزيمة:

إن العزيمة هي القوة التي تولد من الطاقة الكامنة المشتعلة، وبالتالي فهي طاقة دافعة مكونة من إرادة جازمة، وهدف وشغف.

وتُعرّف العزيمة بأنها[٩]: «دافع أو هدف قوي يصحبه تصميم لتحقيق نتيجة مرغوبة، ويتميز صاحب العزيمة؛ بقوة الإرادة التي لا تسمح لأي شيء أن يتعارض مع تحقيق رغبته الداخلية».

(٩) داير، د. واين دبليو، قوة العزيمة، مرجع سابق، ص٥.

ومما يجدر ذكره أن أغلب الناس يتوجهون بعد شعورهم بالألم إلى الطاقة والعزيمة كرد فعل طبيعي عفوي دون مرورهم بحالة الإلهام، وفي هذه الحال تصبح «النتائج» متوقعة معقولة وتقليدية، أما أذا شعر أحدنا بالألم وتوجه إلى الحركة مباشرة، دون المرور بالإلهام والطاقة والعزيمة، فإن المخرجات «النتائج» سوف تكون منعدمة أو تائهة وفي أحسن الأحوال ضعيفة.

عظمة الإلهام تكمن في قدرته على خرق العادات والتوقعات، وتغيير مسار حياتنا بوتيرة عالية وقوية، لكن البقاء على تلك الحالة النموذجية من الإلهام لا يدوم إلا بالتمارين التي تجعل من الإلهام أسلوباً لعيشنا ومنهجاً لحياتنا.

٤) الحركة:

إن الحركة هي الطاقة التي تُنشّط قدرة الملهم على المبادرة، فبدونها لا يستطيع الملهم إنجاز العمل الذي يقوم به في طريقه لتحقيق الهدف، وبهذه الطاقة المتدفقة يتسنى للملهم: عمل ما يحب، وحب ما يعمل.

٥) النتائج:

النتائج أو المخرجات، هي الثمرة، أو الأهداف في حالة تحققها، أو بتعبير آخر: هي الفرج بعد الشدة، أو حالة الرضا الجديدة التي تعتري الملهم بعد الحركة، وهي أيضاً: مكاسب الطاقة المتدفقة، المتولدة عن الإبداع.

نموذج الدكتور يوسف الحزيم
في الإلهام

خامساً:الإلهام والحدس والإبداع..

الحدس والإبداع والإلهام إخوةٌ لأبٍ واحد وأمهات مختلفة..

أثنـاء بحثـي في الإلهام وجدت أن هنـاك مصطلحين لهما تقاطع وتطابـق أحيانـاً أخرى مع الإلهام، وهما: الحدس والإبداع، وقد وجدتها فرصة للتعريف بهما، كي لا يقع الخلط بينهما.

١/ ٥ الحدس **Hunch**:

الحدس: القدرة على الإحساس والتنبؤ بالصواب والخطأ لموقف مـا، أو الحكـم علـى الآخرين بسـرعة ودقـة والتوصـل إلى أفكار ورؤى تنبئ عن المنطق أو التدريب.

إن الحدس موهبة فطرية؛ يمكن تعزيزها بكثرة استخدامها وتتطلب الإنصات إلى أرواحنا وأجسادنا. تقول الكاتبة «جاني بوندر»:

(يبـدأ الرجـال والنسـاء في تحقيـق عظمتهـم حـين يبـدأون في الإنصات لأصواتهم الداخلية.

إننـا نتذكـر عندمـا كنـا نلعـب الغميضـة في طفولتنـا ودون وعي علمـي منـا أو تربـوي من والدينـا؛ فقد كنا نعزز غريزة الحدس بالاسـتماع لصوتنـا الداخلـي مـع اسـتحضار الخيـال بالتخيّل لا استحضار العقلانية أو المنطق في البحث.

للأسـف لقـد تم برمجتنـا لنصـدر أحكامـاً مطلقـة مبنيـة علـى الحقائـق الماديـة المتوفرة وقيل لنا إن هـذا النمط من التفكير هو الطريقة الوحيدة الصالحة للتقييم أو الاستنتاج المنطقي وعندما لا نقوم بذلك نتعرض للعقاب عند استخدام خيالنا أو حدسنا!!).

تقـول الأسـتاذة أمـاني محمد الباحثـة في علوم مـا وراء الطبيعة والتنميـة البشـرية رابطـةً بـين الإلهـام والحدس: «إن الحدس

معرفـة غريزية أو فطرية تأتينا بشـكل تلقائـي وعضوي أي طبقاً للسـليقة، فنحـن لا نعـرف كيـف نتعـرف علـى الأشـياء فهـو نور البصـيرة والإلهـام الإلهـي بداخلنا، هذا النور يشـع من أرواحنا الرقيقـة وتنطلـق أشـعته بالتعاطـف القـوي والرقيق مع الأشـياء وتجنيـب العقـل والتفكير المنطقي واسـتجابة لأمـر المرور لدخول هبات الرحمن، وكله من عنده سبحانه.

الحدس: اتصـال بوعينـا الداخلـي.. ويتشـكل هـذا الوعـي مـن فطرتنـا السـليمة وخبراتنـا ومعلوماتنـا المتراكمـة والمخزّنـة في الذاكـرة وفي العقـل الباطـن، فكلنـا لـه حدسـه بلا تفرقـة ولكن الكثيريـن أهملـوا اسـتخدامه وذلـك لعـدم إيمانهـم بوجـوده أو بقدرتهم على استدعائه.

كيف نستدعي الحدس؟

نسـتدعي الحدس بشـكل باطني وعضوي في حالة الوعي «اليقظة» أو في حالـة الحلـم وذلك عندما تقف الأسـئلة بداخلنا دون إجابات فنسـأل وعينا «بصيرتنا الداخلية» - دون أن نلاحظ - عن الإجابة الصحيحـة، والتـي نظـن أنهـا أتتنا دون سـؤال لكننا بالفعل سـألنا وعينا الداخلي عن الإجابة برغبتنا القوية في إيجاد حل للخروج من حالة الجهل أو حالة اللامعرفة فكل ما نحتاجه في وعينا منذُ ولدنا، والحدس ما هو إلا ظهور هذا الوعي على السـطح عبر اسـتدعائنا له، فنحن نعرف أكثر بكثير مما ندرك بالحدس أو الإلهام[1].

(١) أمانـي محمـد / باحثـة وكاتبـة في علوم مـا وراء الطبيعـة والتنمية البشـرية intuition doamany.net.

٥/٢ الإبداع:

قدرة الفرد على الإنتاج إنتاجاً يتميز بأكبر قدر من الطلاقة الفكرية، والمرونة التلقائية، والأصالة.

كما يعرف بأنه عملية تحسس للمشكلات والوعي بها وبمواطن الضعف، والفجوات، والتنافر، والنقص فيها، وصياغة فرضيات جديدة، والتوصل إلى ارتباطات جديدة باستخدام المعلومات المتوافرة والبحث عن حلول، وتعديل للفرضيات، وإعادة فحصها، والتوصل إلى نتائج جديدة.

ويعرف بأنه تفكير في نسق مفتوح، يتميز الإنتاج فيه بخاصية فريدة تتمثل في تنوّع الإجابات المنتجة، التي لا تحدّدها المعلومات المعطاة[٢].

٥/٢/١ خصائص التفكير الإبداعي:

أعلن جليفورد Gliford (١٩٥٦م) أمام جمعية علم النفس الأمريكية البناء العقلي الإنساني حين تطرق إلى الأفراد ذوي القدرات الإبداعية[٣] وأن خصائص التفكير الإبداعي هي:

---

(٢) قطيط، د. غسان يوسف، حل المشكلات إبداعياً، دار الثقافة، عمّان، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ص٩١.

(٣) قطيط، مرجع سابق، ص٩٤، ص٩٥، ص٩٦.

أ) الطلاقـة Fluency

تعـرف بأنهـا: القـدرة علـى توليـد عـدد كبـير مـن البدائـل أو المترادفـات أو الأفـكار أو الاسـتعمالات بسـرعة وسـهولة عنـد الاستجابة لمثير معين.

الطلاقة أنواع:

١. طلاقـة الكلمات: أي سـرعة إنتاج كلمـات أو وحدات للتعبير وفقاً لشـروط معينة في بنائها أو تركيبها.

٢. طلاقـة التداعـي: أي سـرعة إنتـاج صـور ذات خصائـص محددة في المعنى.

٣. طلاقـة الأفـكار: أي سـرعة إيـراد عـدد كبـير مـن الأفـكار والصور الفكرية في أحد المواقف.

٤. طلاقـة التعبير: أي القدرة على التعبير عن الأفكار وسـهولة صياغتها في كلمات أو صور للتعبير عن هذه الأفكار بطريقة تكون فيها متصلة بغيرها وملائمة لها.

ب) المرونة Flexibility

تعنـي القـدرة علـى إنتاج عدد كبـير ومتنوع من الأفـكار والتحول مـن نـوع معين من الفكر إلى نوع آخـر، أي عدم توقف الفرد عند الحواف، أي القدرة على تغيير الحالة الذهنية بتغيير الموقف ولا تقتصر على إطار واحد.

ج) الأصالة Originality

هي القدرة على التفكير بطريقة جديدة أو التعبير الغريب والقدرة على إنتاج الأفكار الماهرة أكثر من الأفكار الشائعة، أي المهارة التي تستخدم من أجل التفكير بطرق واستجابات غير عادية، أو فريدة من نوعها، حيث إن المبدع لا يُكرّر أفكار الآخرين، فتكون أفكاره جديدة، وخارجة عما هو شائع أو تقليدي، وتعرفّ الأصالة في موقف ما بأنها: استجابة غير متوقعة وغير مألوفة. وتنتج مثل هذه الاستجابات نتيجة قدرة العقل على صنع روابط بعيدة وغير مباشرة بين المعارف الموجودة في النظام الإدراكي. وقد تندرج مهارة الاستقلال تحت الأصالة.

د) الإفاضة Elaboration

القدرة على إضافة تفاصيل عديدة على فكرة أو إنتاج معين أي تتضمن هذه القدرة الإبداعية تقديم تفصيلات متعددة لأشياء محدودة وتوسيع فكرة ملخصة أو تفصيل موضوع غامض.

٥/٢/٢ مراحل التفكير الإبداعي:

تمر مراحل التفكير الإبداعي بأربع مراحل[٤]:

أ) مرحلة الحضانة Incubation:

لا ينشغل الإنسان المبدع في هذه المرحلة بالمشكلة شعورياً، وتكون عملية التفكير في حالة من عدم النشاط الظاهري ولا يظهر أي تقدم نحو الحل أو الإنتاج الإبداعي. ويعمد المبدع إلى تحويل أنظاره عن المشكلة الرئيسة إلى أشياء أخرى بعد أن مر بمرحلة التحفيز، على أمل أن يهتدي إلى الحل النهائي مع مرور الزمن.

ويغلب على سلوك الفرد أثناء هذه الفترة القلق والإثارة مع الشعور بعدم الراحة، ويصبح سهل الإثارة، وقد يشعر بالحزن والاكتئاب.

ب) مرحلة الإلهام:

يظهر الحل في هذه المرحلة وكأنه جاء بشكل فجائي ومن بعيد، ويكون مصحوباً بحالات عاطفية من النشوة والارتياح بعد القلق والإثارة، ومرحلة الإلهام ليست مرحلة منفصلة ومستقلة لوحدها، وإنما جاءت وليدة كل الجهود التي قام بها الفرد خلال المراحل السابقة.

ج) مرحلة التحقيق Verification:

يختبر المبدع في هذه المرحلة صحة وجودة ابتكاره من خلال تجريبه، وربما تجري في هذه المرحلة بعض التعديلات أو التغييرات على الإنتاج الإبداعي من أجل تحسينه وإظهاره بأجود صورة.

(٤) قطيط، مرجع سابق، ص٩٧.

٥/٢/٣ أين يلتقي ويختلف الإبداع عن الإلهام:

يتفق الإبداع مع الإلهام في:

١. أن كليهما عملية تفكير.
٢. تجمعهما المفاجأة في الحل.
٣. يسبق ذلك قلق وخوف في إلهام الاضطرار تحديداً.
٤. أن الناتج فيه أصالة وجودة واستقلال.

ويختلف الإبداع عن الإلهام:

١. أن الإبداع إلهام تركيبي مقصود عادة.
٢. يسبق الإبداع مرحلة الاستعداد والحضانة بينما الإلهام ربما لا يحتاج إلى ذلك.
٣. أن الإبداع يعلّم منهجياً من خلال استراتيجيات وطرق بينما الإلهام ليس كذلك.
٤. الإبداع قد يكون جماعياً بينما الإلهام يكون فردياً.
٥. نستطيع أن نقول أن الإلهام جزء من الإبداع حينما يكون تركيبياً ممنهجاً.

سادساً: كيف تلهم السعوديين..؟

أرواح مجندة يجمعها المكان وعبق الزمان..

إن التنمية الهائلة وزيادة الدخول وتحقيق دولة الرفاهية في الخليج العربي جلبت الاغتراب النسبي الاجتماعي للناس[1]؛ فالتغيّر الاجتماعي المتسارع لمجتمعنا خلال الخمسين سنة الماضية عرّض منظومة القيم فيه للعديد من التحولات التي تتطلب من الفرد والمجتمع في آن واحد أن يكونا مسلَّحَين بالعقل العلمي والرؤية النقدية، والمعرفة والتربية، والقدرة الذاتية على التكيف مع هذه التغيّرات؛ ليكون قادراً على الاستجابة للتحديات وتحمّل المسؤولية.

إذا كان الفرد والمجتمع عاجِزَين عن التعامل مع هذه التغيرات الهائلة فإن حالة من الاغتراب الاجتماعي ستصيب الذات وكيانها الاجتماعي الحاضن، فهي حالة تشعر معها تلك الذات بأنها تعيش عالماً لا تسيطر عليه، كما كان يعيش عليه المجتمع من قبل، لهذا يبدأ المجتمع في البحث عن مخارج له، وتبحث الذات في ذلك المجتمع عن حصن تحتمي به وتحمي مصالحها تعويضاً عن هويتها وخصائصها التي ستفقدها بالضرورة في ظل غياب ثقافة شعبية متماسكة، وحاملة لمشروع وطني صلب[2] ومتفرع ولهذا في ظل ذلك الغياب، يتوجه الفرد المغترب اجتماعياً، نحو طبقة أو فئة اقتصادية، أو سياسية، أو دينية تعوّضه عن هويته الضائعة، فيتجه البعض إلى فئة أو طبقة أو إلى مجتمع الأعمال والمضاربات لحماية مصالحه، وآخر قد يهاجر إلى ماض أو

(١) انظر: الحسن، د. يوسف، قلق القيم (مجتمع الخليج العربي نموذجاً)، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، ص١٥٦.

(٢) إن رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠ استطاعت بكل جدارة أن تشكل مشروعاً وطنياً طموحاً للأجيال الشابة.

عقيـدة أو خرافـة، وثالـث قد يتجـه إلى هوية دينيـة وقيم كونية، ورابع قد يغرق في ملذات أو مخدرات أو في العمل مع «عصابات» أو نهم اسـتهلاكي، وخامس وسادس ووو...الخ. وهكذا دواليك وفي كل الحـالات تتشوّش القيـم وتغيب الهويـة الوطنية الحميمة ومن هنا فإن إحدى الأدوات الكبرى في تعزيز الهوية هي النماذج والقدوات الملهمة فتصبح كالقناديل التي يستضاء بها في الطريق ونستخلص منها أدوات منهجية تجعل الإلهام حالة مستدامة.

وسائل إلهام السعوديين..

هل يختلف إلهام السعوديين عن غيرهم من الناس؟ أقول: لا، ولكن لكل مجتمع خصوصية، أي ثقافة فرعية؛ في حين أن ثقافتنا الأم هي الدين الإسلامي والتراث العربي وعليه كلما قرب أي مجتمع من خصوصيتنا وثقافتنا الفرعية كالمجتمع الخليجي على سبيل المثال كلما كانت هذه المبادئ التي سأسردها تؤثر أكثر، يقول د. يوسف أسعد[٢]: «ويؤكد الاجتماعيون في تفسير الإلهام بأنه لا يصدر عن الفرد الملهم أساساً بل يصدر في واقع الأمر عن المجتمع بالحجج التالية:

إن المجتمع سابق على الأفراد الملهمين بالتأكيد. وحتى إذا كان المجتمع من حيث هو كيان بيولوجي يتشكل من مجموع الأفراد المكونين له، ومن ثم فقد يقال: إن الأفراد سابقون على المجتمع من الناحية البيولوجية، هذا لا يمكن أن يقال بإزاء الأسبقية الثقافية أو الأسبقية الحضارية، فالمجتمع سابق على أفراده من حيث الثقافة والحضارة. وما الإلهام الذي يخيل للفرديين أنه صادر عن صميم الأفراد سواء الإلهام الثقافي أو الحضاري، وبالتالي فإن ما يلهمون به مستشف بالتأكيد من ثقافة مجتمع أو حضارته وليس مستشفاً من ثقافية الفرد الملهم أو حضارته، لأن الفرد خلو من الثقافة أو الحضارة الفردية لأن مثل تلك الثقافة أو تلك الحضارة ليس لها وجود مباين أو متفرد يختص به الفرد أو يصدر عنه بداءة.

(٢) ميخائيل أسعد، د. يوسف، مرجع سابق، ص٢٤.

إن الأساليب والصيغ التي يعبر بها الفرد الملهم عما ألهم به إنما هي في الواقع أساليب وصيغ اجتماعية، فالشاعر الملهم لا يعبر عن شعره بأساليب وصيغ فردية يبتكرها ابتكاراً أو يختلقها اختلاقاً، بل هي أساليب وصيغ لغوية مستمدة برمتها من لغة المجتمع الذي ينتمي إليه الشاعر. والشيء نفسه يقال عن المخترع الملهم وغيره. من أفراد توصف منجزاتهم بأنها تعبير عن إلهام يصفه الفرديون بأنه إلهام فردي، والحقيقة أنه من المجتمع وإليه ذلك أنه لولا الوسيلة التي هي من طبيعة اجتماعية بحتة ما كان للإلهام أي وجود.

ويؤيد الحجة السابقة حجة أخرى يقول بها أصحاب الدراسات اللغوية والفنية بل وأصحاب العلوم أيضا. فهم جميعاً يؤكدون بأن الفصل بين الموضوع وبين وسيلة التعبير عنه إنما هو فصل مفتعل ليس من الحقيقة في شيء، فالشعر مثلاً لا ينفصل فيه الكلام عن المضمون، وكذا الحال بالنسبة لجميع الفنون والعلوم على تباينها. صحيح أن من الممكن أن نتخيل كلاماً موزوناً ليس شعراً، أو أن نتخيل زخرفة لا توصف بأنها من الفن أو من صميمه ولكن العكس أيضاً ليس صحيحاً. فلا يوجد شعر غير متلبس بالصورة اللغوية، وأيضاً ليس هناك تصوير فني بغير استخدام لوسائل التعبير الفنية، وليس هناك علم بغير استخدام للغة العلم أو بالتجرد من المعادلات الرياضية أو نحوها من أساليب التعبير العلمي.

وبتعبير آخر فإن من الممكن أن نجد جثة بلا بروح، ولكننا لا نستطيع أن نتخيل إنساناً آدمياً موجوداً بيننا نراه ونتعامل معه

بغير جسد أو بغير صيغة جسمية نشاهده ونسمعه ونلمسه من خلالها، فالتزاوج بين جوهر الشيء ووسيلته ليس اقتراناً بل هو وجود تتمايز في أنحائه جوانب يوصف جانب أو جوانب منها بأنها جوانب جوهرية، بينما يوصف جانب أو جوانب أخرى فيه بأنه صورية أو شكلية. فاللغة والمضمون في الشعر لا يلتصقان بعضهما ببعض كما قد يظن البعض، بل هما كيان واحد متفاعل بعضه ببعض أشد التفاعل. وحتى اللغة المستخدمة في الشعر يمكن أن ينظر إليها من زاويتين: زاوية المضمون وزاوية الشكل.

وهكذا دواليك بالنسبة للصيغ والأساليب المستخدمة في التعبير الفني أو العلمي، وحيث إن الأساليب والصيغ هي من طبيعة اجتماعية بحتة، فإن جميع ما يصدر عن الشخص الملهم إنما هو في حقيقة الأمر من صميم المجتمع ومن نتاجاته وليس من ابتداع الفرد الملهم كما يقول الفرديون في تفسيرهم للإبداع الإلهامي.

لقد استلهمت من الخبرة والممارسة التطبيقية وسائل إلهام، وهي:

١. لكل مجتمع روح يسميها جوستاف لوبون: «روح التاريخ»، حين تتشكل ذاكرة أي مجتمع من أعراف وتقاليد وعقائد وعبادات و«سُلُوم» ساهم فيها التاريخ والجغرافيا وتفاعل الإنسان الظرفي مع نفسه ومحيطه القريب والبعيد، لذا إذا استطعت أن توقظ هذه الروح فسرعان ما تستجيب لك وتحديداً عندما تلهب مشاعر الفخر فيها بماضيها العظيم.

٢. يقول النبي صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس: «إنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الحِلْمُ، وَالأَنَاةُ»[٣]، على من يشتغل بالإلهام أن «يطوّل» باله ولا يستعجل النتائج، فأرواح الناس تحتاج إلى تُؤدة في جذبها، وحيث تنجذب تعطيك نفسها وتصنع منها العجائب في وقت قياسي.

٣. استخدم ألفاظاً وعبارات سهلة ممتنعة تطرق أُذن وعين السامع فتجد فيها الحداثة والذاتية أي أنها تملك واقع المصطلح، وعليه فإنه مهما كانت قضيتك عادلة فإنها حتماً ستفشل إن لم يكن لديك محامٍ بارع، وصنعة المحامي هي العرض والبيان.

٤. لعل من القدر أن الجيل الجديد أصبحوا مولعين بالفكاهة والنكتة، وبدأوا في منافسة المصريين في ذلك، ولم يكن يرد ذلك في خلدي يوماً!! لذا فإن الإلهام إذا جاء في سياق النكتة والدعابة وخفة الدم فإن مفعوله ساحر ولن يُنسى أبداً.

٥. الناس ملّت من البكاء على الأطلال، أو جلد الحاضر.. لذا إذا حدَّثت الناس عن المستقبل فإنك ستأخذ هممهم ولا سيما أنهم متطلعون وهؤلاء يشكلون ٧٠٪ من المجتمع.

٦. إذا ضربت أمثلة ناجحة وملهمة بستيف جوبز أو بيل غيتس أو مونتجومري أو أديسون فإنه من المحتمل أن تلهمهم.. ولكن ما رأيك أن تضرب الأمثلة بقدوات من محيطهم القريب؟ كأهليهم أو أقرانهم أو أجدادهم فستجد النتائج

(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٧).

باهـرة.. ذلـك لأنهـم يتشـاركون جميعـاً في: الديـن والـدم «النسب» وظرف في الزمان والمكان، وأن تُحيي الفخر فيهم كما ورد في الفقرة الأولى.

٧. إذا أردت الإلهـام فكـن واقعيـاً في وصـف الحـل؛ لـذا عليك ووضع خارطة طريق معقولة «خطوة بخطوة» كي تسـاهم في جعل الإلهام فيضاً يتبعه عمل.

٨. في هذا العصر لم يعد الإلهام قرين الحكمة فحسب، كما كان في الماضـي ويتعلـق بالشـيخ كبير العمر، بـل إن إدارة الإلهام يقودها ويشغّلها الشباب.. فهم أقرب لنبض المجتمع.

٩. لا تطـل.. فحياتنـا المعاصـرة سـريعة الإيقاع، والنـاس تفقد فيها التركيز، وعليك بالإيجاز والاختصار.

١٠. عـزّز المعنـى «الجوهـر» في إلهامك بشـكل مسـتدام واربطه بالمصـادر الدينيـة مـن قرآن وسـنة وفعل السـلف، ولا تنسَ مزاوجته بعمران الدنيا وفن صناعة الحياة.

١١. خاطـب الفـؤاد، والعاطفـة.. ثم العاطفـة والعاطفة.. فنحن أمم شـرقية عرفانيـة نتفـاءل ونتناقـل قصـص النجـاح والبطولة بإعجاب في كل مجلس.

١٢. سـاعد مـن ألهمتـه علـى أن يشـبّك ويتعـاون ويتشـارك مـع الآخريـن بعقـل روح الفريق.. فالسـعودي قد يميـل للفردية، وقدر النجاح تبادل المصالح والمنافع مع الآخرين.

سابعاً: الإلهام والتمكين والتنمية البشرية

الناس عيال على الله.. خيارهم من مكّن نفسه من أجل العلو والفخر وعمارة الأوطان..

إن الإلهام يفجر الطاقات الكامنة؛ إذ إنه يُحسِّـن من اسـتخدام كفاءة وفعالية موارد الإنسـان النفسية والمعنوية «طاقاته» فتطلق باقي قدراته بحيث تتعدى نفسـه ليؤثر في الآخرين، وبذلك يكون مُلَهماً ومُلهِماً.

إن مفهوم التنمية البشـرية المستدامة تم تعريفه الأساسي – من خـلال تقرير «مسـتقبلنا المشـترك» (Our Common Future) الصـادر عن اللجنة العالميـة للتنمية والبيئة بالأمم المتحدة للعام ١٩٨٧م: التنمية التي تلبي احتياجات الحاضر، دون الإساءة إلى مستقبل الأجيال القادمة، وتتكون من ثلاث مكونات هدفها ضمان الاسـتدامة في ثلاث مجالات رئيسـية، هي: «النمـو الاقتصادي، والبيئـة، والتنمية الاجتماعية»، وكلها تسـتند على التمكين وتقوم على تعزيز قدرات الإنسان، وتفجير طاقاته، وإزالة العوائق عنها بما يسمح بتعدد خياراته في الحياة، والإلهام هو الخطوة الكبيرة والأولى في درب التمكين[1].

(١) الحزيم، د. يوسف، التمكين.. الأجوبة الكبرى، ص٩٨.

٧/١ التمكين:

التمكين بحسب تعريف البنك الدولي (The World Bank) هو: «عملية تهدف إلى تعزيز قدرات الأفراد، أو الجماعات لطرح خيارات معينة وتحويلها إلى إجراءات وسياسات تهدف في النهاية لزيادة الكفاءة والفعالية لمؤسسات ومنظمات وأفراد».

من الناحية السيكولوجية، يعرف كل من توماس فلثهاوس وكانتر Thomas veltheuse and kanter التمكين بأنه «مفهوم تحفيزي ويتمحور ويتمركز حول الدافعية عند الإنسان نحو الكفاءة والاقتدار».

ويقولان أيضاً: إن التمكين هو الحافز الداخلي الجوهري، الذي يبرز من خلال عدد من المدارك التي تعكس مواقف الأفراد نحو المهام التي يقومون بها في وظائفهم وهذه الموارد هي:

- المعنى (Meaning)، ويراد بالمعنى هنا: استشعار الإنسان (الموظف) قيمة العمل (السلوك والنشاط) الذي يقوم به ودلالته.
- الاكتفاء (الرضا) وهو الشعور بالاقتدار والمهارة والكفاءة في حقيقة الأمر يعبّر عن مدى اكتفاء الفرد وثقته بقدراته في القيام بمهام عديدة بمهارات عالية.
- الاستقلالية (Independence) وحرية التصرف أو الفعل، وهي تعبّر عن شعور الفرد بحريته عندما يرتبط الأمر بالإنجاز وعمل الأشياء، فيصبح له الحق في اختيار المواقع،

والأشخاص الذين يرتبط بهم من أجل تحقيق الأهداف بما يتناسب مع وجهة نظره وتقديره الخاص.

- التأثير (impact) وهو قدرة الفرد على إحداث درجة عالية من التأثير الفردي في نتائج الأسرة، أو المؤسسة، أو الوطن.

أما (زمك وشاف) ((schaaf) and (Zemke فيعرفان التمكين بأنه: «الاعتراف بحق الفرد بالحرية والتحكم، وهذا الأمر يمتلكه الإنسان بما يتوافر لديه من إرادة مستقلة ومعرفة ودافع داخلي».

وفي التعريف الخاص الذي استنتجته من القراءة والبحث في هذا المفهوم؛ فإنه يمكنني أن أعرف التمكين بأنه: «عملية تحوّل وتبدّل يتم من خلالها تحرير الفرد، أو الجماعات، أو المنظمات من عوائق استخدام قدراتهم، أو فرص تعزيزها من أجل التحكم النسبي في ذواتهم (الاعتمادية والاستقلال) ثم العمل بكفاءة وفاعلية وتحقيق التحسن والنمو الإيجابي المستدام».[٣]

لقد تطور مفهوم التنمية المستدامة من الثمانينيات إلى عام ١٩٩٠م؛ حيث عُني بالتنمية[٢]: الاستثمار في رأس المال البشري، وهي نقلة في مفهوم التنمية جعلت الإنسان في قلب كل الجهود التنموية ومحور اهتمامها، ولذا عُرفت التنمية بأنها، أيضاً: «عملية توسيع» أي زيادة خيارات الناس في الحريات والقدرات التي تتوفر على هذه العناصر الجديدة في المفهوم، مثل:

(٢) الحزيم، د. يوسف، التمكين.. الأجوبة الكبرى، ص٤٩.
(٣) الحزيم، د. يوسف، مرجع سابق، ص٩٩.

- الصحة التي يكون هدفها طول العمر.
- المعرفة.
- فرص الحصول على الموارد اللائقة لمستوى عيش لائق.

ومن خلال هذه العناصر الثلاثة تأخذ عملية التنمية المستدامة أبعادها المتعددة لتأكيد دلالتها المنعكسة في:

- الحرية السياسية.
- الحريات الاجتماعية والثقافية.
- الإبداع والإنتاجية.
- البيئة.
- المشاركة في الحياة الاجتماعية.
- الثقافة والفنون (وقت الفراغ).
- الأمن والسلام.

٧/٢ علاقة الإلهام بالتمكين والتنمية:

إن مفهوم التنمية المرتكز على الاستدامة ورأس المال البشري، هو ذروة الاعتراف بأن مدخل التنمية الصحيح يبدأ من الإنسان، وخطة تنمية الإنسان أو قل خارطة طريق تنميته هي التمكين، والتمكين يعكس القوة الذاتية الملهمة للإنسان عبر انخراطه في المؤسسات والهيئات التي يعمل ويتفاعل من خلالها، ولاسيما منظمات المجتمع المدني، عبر الاعتراف بحقوقها وكفالة وصيانة الضمانات المتصلة بتأسيسها. وعليه فإن فشل التنمية المستدامة هو صورة من صور العجز عن التمكين، في حين إن نجاح التنمية المستدامة في جوهره نجاح التمكين، لذا فالتنمية المستدامة غدت اليوم مطلباً إنسانياً وكونياً على صعيد الحكومات والمواطنين؛ بل هي في الحقيقة علامة قياسية للتحضر البشري. لقد عرفّنا الإلهام بأنه حالة شعورية «نفسية» تتملك الإنسان إثر صدمة إيجابية معبّرة وصادقة؛ عندها يفرح الملهم بإعادة اكتشاف نفسه فتشتعل بالأمل والحلم والخيال مولدة عزيمة دافعة للأمام.

لذلك فإن الإلهام هو: حالة الوعي المبكر الأولى التي يستيقظ فيها الإنسان، والتي تشكل حجر الأساس عند انطلاق تمكين الإنسان لنفسه؛ فلا تمكين بلا وعي، ولا وعي خلاق بلا إلهام.

إن الملهم هو الشخص الذي يكون قادراً - باستمرار - على أن يجعل من عملية الإلهام حالة تمكين مستدامة، لاتقف عند إلهام

واحد، أو اكتشاف واحد، أو يقظة طارئة، بل يكون الإلهام هو المسرّع لعملية التمكين، ذلك أن صورة الفكرة، أو حل المشكلة تصبح بفعل ذلك الإلهام، واضحة كرؤية للملهم؛ الأمر الذي يجعل من مهمة الدافعية والعزيمة أقوى كفاءة وفاعلية؛ لأن الإلهام يخفض كلفة وجهد عملية التمكين.

إن من شأن التدريب على الإلهام، وتكوين الملهمين أن يجعل تنميتنا خلاقة تقفز قفزاً نحو ريادة عالمية تفوق توقعاتنا، الأمر الذي يختصر علينا ردم الفجوة المعرفية والحضارية بيننا والعالم المتقدم.

إن قدرة الإلهام والملهمين هي أقصر الطرق المبتكرة والخلاقة للأخذ بأيدينا إلى فضاء المجتمع الرشيد؛ لأنها قدرة تعبّر عن حلم الإنسان وجوهره في طريق الأصالة والتفرد.

يقول ابن خلدون عن فاطمة الفهرية:«فكأنما نبهت بذلك عزائم الملوك بعدها، وهذا فضل يؤتيه الله من يشاء من عباده الصالحين، فسبحانه وتعالى إذا أراد لأمة الرقي والرفعة، وأذن لها بالسعادة الغامرة، أيقظ من بين أفرادها رجالاً ونساءً، شباباً وشيوخاً، أيقظ فيهم وجداناً شريفاً وشعوراً عالياً يدفعهم للقيام بصالح الأعمال وأشرفها وما كان من أجل الدنيا والآخرة»[٤].

* * *

(٤) عبدالرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، دار الفكر بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٢٠/٤.

ثامناً: المراجع..

كذب من قال أنا..

المراجع:

- ابن منظور، لسان العرب، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الثالثة، عام١٩٩٨.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الثالثة، عام ١٩٩٨.
- أماني محمد / باحثة وكاتبة في علوم ما وراء الطبيعة والتنمية البشرية، intuition .doamany.net
- باحارث، محمد، مقالة بعنوان (إرسال مصحف إلى القمر)
- http://mohammadbahareth.com
- بوحجي، د. محمد جاسم، البحث عن الملهمين، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م، ص١٩.
- تقي الدين أبو العباس، درء تعارض العقل والنقل، بتحقيق محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية عام ١٩٩١م.
- الحزيم، د. يوسف، التمكين.. الأجوبة الكبرى، الطبعة الأولى ٢٠١٧م
- الحسن، د. يوسف، قلق القيم (مجتمع الخليج العربي نموذجاً)، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.
- قطيط، د. غسان يوسف، حل المشكلات إبداعياً، دار الثقافة، عمّان، الطبعة الأولى، ٢٠١١م
- محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مختار الصحاح.
- ميخائيل أسعد، يوسف، سيكولوجية الإلهام، مكتبة غريب، القاهرة.
- واين دبليو، قوة العزيمة، مكتبة جرير، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.

* * *